تحقيق

كاتيا شمعون
Cathicha8@gmail.com

توفيق حبيب: الأمن العام مرآة البلاد تعكس كل مزاياه

بعد سنوات طويلة من العمل في السلك العسكري، يحين موعد التقاعد. لكن حين يقترب الموعد ويستحق المستحق، يبدأ الحديث عن رحلة العمر وكيف هرول الوقت وعن رفاق الدرب والعائلة الثانية، وماذا بعد الخدمة المليئة بالتحديات والمخاطر، القيم والانضباط والتفاني، الى الشجاعة والعزيمة، ومشاركة لحظات الفرح والحزن. في المحصلة، التقاعد له طعم آخر فيه الكثير من الحنين

من المتقاعدين في الامن العام، المفتش اول ممتاز المتقاعد توفيق حبيب (سينهي عامه الـ103 بعد اشهر)، المقيم في بلدة بصاليم (المتن) وكان من اوائل المتعلمين فيها. تلقى دروسه في مدرسة الاب بولس الحايك حتى نال شهادة السرتفيكا. بعده، انتقل الى مدرسة الحكمة الاشرفية حيث تابع تحصيله العلمي ونال شهادة البكالوريا (قسم اول). لتحقيق هدفه، كان حبيب يستقل القطار يوميا من الطريق الساحلية حتى منطقة الكرنتينا آخر محطة له، ومنها يكمل سيرا على الاقدام من الكرنتينا الى الاشرفية.

مارس مهنة التعليم في مدرسة انشأها الاب يعقوب الكبوشي في جل الديب، وفي مدرسة اخرى في انطلياس، قبل ان ينتسب الى مؤسسة الامن العام مع بدايات تأسيسها عام 1945، على عهد الرئيس بشارة الخوري، "حينها كان المبنى الرئيسي الذي يضم مكتب المدير العام للامن العام ادوار ابوجودة في بناية رزق الله في الزيتونة".

تنقل حبيب، الذي تحمل بطاقته الرقم 9 بين مهام عدة: من دائرة الاجانب الى الناقورة فالى المطار، من هناك الى العبودية، ومن ثم الى وادي الحرير، فالى باب التنية في مرجعيون قرب المطلة على الحدود مع فلسطين المحتلة. بعدها الى المرفأ واختتم مسيرته في العمل في امانة السر كمساعد للمدير العام للامن العام حينها المقدم توفيق جلبوط، واخيرا الى مبنى المديرية في المتحف حيث احيل على التقاعد عام 1972 مع بلوغه 52 عاما.

رافقت اسرة حبيب المؤلفة من زوجته وخمسة اولاد (ثلاثة شبان وفتاتان) كل تنقلاته باستثناء انتقاله الى منطقة الناقورة. يقيم حاليا في منزله الذي بناه في انطلياس من المال الذي بدأ بادخاره

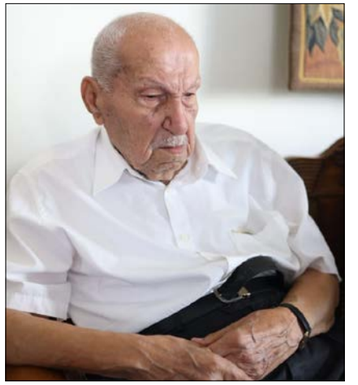

المفتش اول ممتاز المتقاعد حبيب توفيق بسنيه الـ103.

منذ كان تلميذا يأخذ مصروفه من والده، "كانت كلفة التنقل تصل الى ثلاثة قروش، فاشتري الكعكة بالقرش الرابع واعطي القرش الخامس لوالدتي كي تدخره لي. من هذه القروش التي ادخرتها في ذلك الحين، مع المال الذي توفر لي من عملي في الامن العام من خلال راتب شهري بلغت قيمته 150 ليرة، استطعت شراء ارض في منطقة انطلياس بمبلغ 2000 ليرة شيدت عليها بيتا ما زلت اسكن فيه حتى الان".

بعد اربعة اشهر تقريبا، اي في الخامس من كانون الاول، ينهي المفتش اول ممتاز المتقاعد توفيق حبيب عامه الثالث بعد المئة. يضحك ويقول: "سابدأ بالـ104". وهو حتى الساعة يذكر جيداً الصورة التي كانت موضوعة عند مدخل المديرية والتي تشير الى "انه علينا ان نسمع جيدا ونرى جيدا، شرط ان لا نتكلم ابدا".

لمناسبة عيد "الامن العام" الـ78، وبلفتة مميزة من المدير العام للامن العام بالانابة اللواء الياس البيسري، زار وفد من المؤسسة يضم المقدم شربل العجيل والرائد داني ابوجودة والرائد علا القاسم منزل زميلهم المتقاعد في انطلياس، حيث قدموا له التهاني والمعايدة باسم اللواء البيسري وكل الضباط والعناصر في حضور افراد اسرته واحفاده. على طريقته المحببة، استقبل العم توفيق حبيب الوفد قائلا: "اهلا وسهلا بكم جميعا، انها لمناسبة سعيدة وعزيزة على قلبي ان يحيطني حضرة اللواء الياس البيسري المدير العام للامن العام بهذا التكريم الذي هو عزاء لا يثمن في اواخر عمري. انني ادعو له بطول العمر والحياة السعيدة، كما انتهز هذه الفرصة لأتعرف على زملائي الذين اكن لهم كل محبة وتقدير. لقد خدمت في الامن العام 28 سنة وليت عمري كان يسمح لي بمتابعة العمل في هذا الجهاز الذي هو مرآة البلاد، ويعكس كل مزاياه الحسنة التي لا تحصى ولا تعد. انني اكرر شكري وامتناني لحضرة المدير العام على هذه المبادرة التي لم يحصل مثلها من قبل".

ايضا كانت مناسبة، اجرت معه "الامن العام" الحديث الاتي:

■ هل انت خائف على لبنان؟

□ طوال عمره مر لبنان بصعوبات كبيرة وخرج منها "متل السبع". اللبناني لا مثيل له، انه قوي كطائر الفينيق يموت ثم يبعث الى الحياة.

■ ما الذي تذكره عن والديك، كيف انطبعت فيك تربيتهم؟

□ عاش اهلي خلال الحرب العالمية الاولى، لكن رغم ذلك كانوا "مرتاحين" ولم يجوعوا. كانوا يذهبون الى مدينة حوران لشراء المؤن والحاجيات الضرورية. اكلوا

وساعدوا غيرهم. لم يتأثر اهلي بالحرب او بالمجاعة، وعلى الرغم من كل الظروف الصعبة التي مرت عليهم، الا انهم عاملونا بكل محبة وصلاح. حزنت جدا لوفاة والديّ وافتقدت حنيتهما وعطفهما عليّ وعلى اخوتي، لكن في النهاية انها مشئية الرب وهذه هي الحياة.

■ ماذا تقول لكل الاشخاص الذين فقدوا الامل في عودة الحياة الى لبنان؟

□ املي كبير في ان يعود وطننا الى ما كان عليه واحسن من قبل. علينا ان نصبر ونتحمل بعد، اذ لا خيار حاليا امامنا. هذه مشيئة الله لنا لاننا لم نعرف قيمة لبنان. انه بلد مميز بكل شيء اولا بحسن الضيافة وبطبيعته، هناك طبعا بعض الشوائب لكن مزاياه الجيدة تغطي على السيئات. طبعا، في ايامنا كانت الحياة اسهل وافضل على الرغم من كل شيء. اخيرا، كنت اتمنى لو سمح لي عمري بأن اتابع عملي في الامن العام لأن هذه المؤسسة هي مرآة البلاد تعكس كل مزاياه.

■ نعيش في ظروف تدفعنا الى اليأس، لكن من خلال مسيرة حياتك هل تظن انه مرت ظروف مشابهة لما نعيشه اليوم او اصعب منها؟

□ لم يمر لبنان في ظروف اصعب من التي نعيشها الان، حتى خلال فترة الحرب كانت الامور افضل مما هي عليه اليوم. صحيح اننا كنا تحت القصف، لكن حياتنا لم تتوقف على عكس ما يحصل حاليا، فلا احد يأتي لزيارة احد. للاسف، وصلنا الى هذه المرحلة، لذلك اتمنى ان لا تنحدر الامور اكثر نحو الاسفل.

■ ماذا تطلب لنفسك من الله؟

□ ذاكرتي ممتازة حتى الان، ما زلت اذكر تقريبا اسماء كل رفاقي الذين دخلنا معا الى الامن العام وكان عددنا 150 شخصا، كتبت على ورقة 140 اسما منهم، وكنت احمل بطاقة رقمها 9. لتنشيط ذاكرتي اقرأ كثيرا، واحل شبكة الكلمات المتقاطعة، وانام لساعات، واصلي لشفيعي مار مخائيل. انشالله كل واحد يعيش كما عشت انا، اتمنى ان اقضي

مع وفد الامن العام.

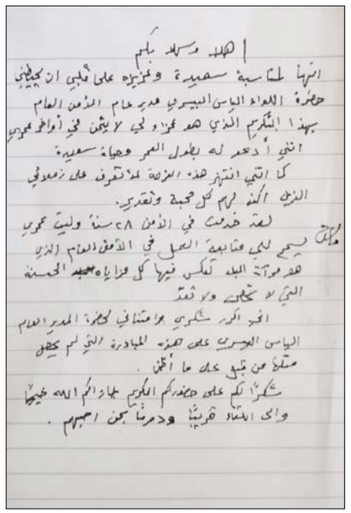

بخط يده.

حياتي كما انا الان فلا امر في مرحلة اسوأ. اتمنى من الله ان يعطيني الصحة.

■ ماذا تقول لجيل الشباب؟

□ علينا ان نفرح في حياتنا قدر المستطاع "لأنو الحياة ما فيها شي"، شرط ان يكون الشخص "آدميا" ومؤمنا. هكذا عشت حياتي ولم احد يوما عن خط الاستقامة. اعطي الحق لصاحبه واطالب بحقي. نصيحتي لاولادي واحفادي الا يحيدوا عن الحق والاستقامة. لقد حكم الظرف الذي نعيشه على شبابنا ان يتركوا وطنهم، لكني اتمنى عليهم ان يعودوا وان يوفقهم الله، اذ لا يمكن بناء الاوطان الا بسواعدهم وعلومهم. لبنان سوف يستعيد عافيته وسيكون افضل مما كان. لبنان لا يموت. اما شباب الامن العام وشاباته، فاقول لهم ان يكونوا مستقيمين في عملهم كما كنت انا، اذ وضعت نصب عيني النظام وعملت كل حياتي بموجبه. الجدير ذكره ايضا في هذا السياق، انني خلال كل فترة خدمتي، اي 28 سنة، لم ا كنت اتمنى لو سمح لي عمري ان اتابع عملي في الامن العام لم انل عقوبة واحدة. سبق ان اخترت الامن العام لأن عمله مميز من كل النواحي، فهو يتعاطى بكل شؤون الدولة، من حسن الاستقبال للوافدين الى حسن المعاملة ومراقبة الاجانب والاحزاب والافلام والمطبوعات، كما يعمل ايضا على الامن الاستباقي. اخيرا، لا بد من القول انني شخص حيادي، خدمت في الامن العام 28 سنة من دون ان اتحيز خلالها لأي جهة او طرف او حزب.